مجلة الرائد

العدد : ١٨٢ الموافق في ربيع أول ١٤١٧ هجري ٨ / ١٩٩٦ ميلادي

كلمة افتتاح المؤتمر السنوي للأخوات : المرأة المسلمة... وأزمة الأمة	بقلم : الأخت أم عدنان

أخواتي الكريمات : تعلمن أنه قد أتى على أمتنا حين من الدهر ، ابتعدت فيه عن الهداية الحقة ، ودخل إلى العقول والحياة كثير من الأمور التي عبثت بقيم الإسلام في القلوب ، وقذفت الأمة في متاهات الجهل والتخلف ، وحق على المسلمين قوله تعالى :

{ **ذلك بأنّ اللهَ لم يكُ مغيراً نعمةً أنعمها على قومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم** } [الأنفال : ٥٣]

ونتيجة لذلك اختلت أوضاعهم الثقافية ، وحياتهم الاجتماعية ، واهتز بنيانهم الأخلاقي من القواعد. وهذا ما يمكن تسميته « **العامل الداخلي للأزمة الفكرية** »

وبما أن القاعدة الأساسية في التغيير من حال إلى حال تقوم على أساس قول الله عز وجل : { **إنّ الله لا يغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم** } [الرعد:١١] فإن نهوض المسلمين رهن بتغيير ما في نفس الأمة حتى يصلح حال الجميع. فالأفراد الصالحون رجالاً ونساءً إذا بقوا أفراداً لا يتحقق بهم التغيير. فلا بد لذلك من أن تشيع فكرة الخير بين الناس. وحتى تشيع بينهم يجب على دعاة الخير أن يحسنوا عرضها ، وأن يضعوا البرامج العملية التي تناسب كل مرحلة وكل مكان ، حتى تتحول الرؤى والأفكار إلى واقع ملموس يهدي الناس إلى الخير. وهذا واجب لا يمكن أن ينهض به إلا من فهم الإسلام كما أنزله الله تعالى ، وشعر بمسؤوليته نحو نفسه والآخرين ، وفهم حياة الناس وواقعهم ، واستطاع أن يبلور أفكار الإسلام بطريقة مؤثرة تنفع الناس.

وهناك أيضاً « **العامل الخارجي للأزمة الفكرية** » ، وهو عامل الحضارة الغربية التي لها ثقل وتأثير في حياة البشر جميعاً في القرنين الأخيرين. فلا يخفى على أحد ، أن هذه الحضارة كانت وما زالت تضخ في أرجاء الأرض - عند المسلمين وغير المسلمين - مفاهيم عن الحياة والإنسان وتضع النظم السياسية والاجتماعية والثقافية والأخلاقية ، وتحسن عرضها وتعمل على فرضها باسم الحضارة والتقدم ، وتتوسل أحياناً بشعارات حقوق الإنسان ونحو ذلك. والنتيجة أن هذه الحضارة الغربية تسببت في توسيع أزمة المسلمين وترسيخها ، وفرضت على المسلمين مواجهة على امتداد عقود من الزمن ، وما تزال هذه المواجهة قائمة وممتدة إلى يومنا هذا. وقد فرضت هذه المواجهة على دعاة الإسلام أن يفكروا في التحديات ، وأن يبحثوا عن ردود تحصن الأمة من جراثيم الهجمات الرامية إلى تحطيم ثقافة المسلمين.

نخلص من الكلام السابق إلى أن أزمتنا الفكرية على مستوى الأمة ما تزال متأثرة بالعامل الداخلي والعامل الخارجي ، وأن الخلاص منها (الأزمة) يحتاج إلى جهود كبيرة وأفكار عظيمة ؛ تغير ما بأنفسنا ، وتحصننا ضد الآفات الخارجية التي تصر على انتزاع الإنسان المسلم والأرض المسلمة والثروات الإسلامية ، ليصبح الإنسان المسلم تابعاً ذليلاً ، وليتصرف خصوم الأمة بأرضها وثرواتها كما يشاؤون.

هذا في الجانب الفكري العام... تغيرت أفكارنا فتغيرت حالتنا !!

وآتي الآن إلى الحديث عن **الجانب الأخلاقي من الأزمة** ، هذا الجانب المهم والخطير في حياة المسلمين يعاني من مشكلات خطيرة ، وأكثر هذه المشكلات كامن في عدم معرفة المعاني التي يشملها مصطلح الأخلاق ، إذ لا يخفى عليكن أن هناك أخلاقاً فردية : مثلاً : الإخلاص فضيلة ، والرياء رذيلة. فهذه الأخلاق لا بد أن نتدارسها ، وأن نعمل على تطبيقها. فما حرمه الله تعالى من الأخلاق الظاهرة أو الباطنة علينا أن نتعرف إليه وأن نتجنبه ، وما فرضه الله تعالى من الأخلاق الفاضلة علينا أن نفقهها وأن نصبغ حياتنا بها. وبمقدار ما ننتصر في هذا الجانب نستطيع أن نخفف من أزمة أمتنا.

ولكن علينا ألا نحصر مفهوم الأخلاق في الأخلاق الفردية فقط ، فإلى جانب الأخلاق الفردية هناك ما يمكن أن نسميه « **الأخلاق الجماعية** » ومنها :

١- أخلاق القوة والمنعة : وأضرب مثلاً على ذلك بالتعاون على البر والتقوى ، فهذا واجب شرعي كلماته معدودة ولكن لكي نقوم به في الواقع فإننا نجد أن هناك مجموعة من الأخلاق إذا لم تتوفر فلن يكون هناك تعاون ، من ذلك : السمع والطاعة ، والنظام ، وحسن التنظيم وتنسيق الجهود ، والتنازل عن الرأي الاجتهادي للمصلحة العامة...الخ.

٢- الأخلاق الاجتماعية : وأضرب مثلاً على ذلك بالإنصاف ؛ فلكي يكون الإنسان منصفاً يحتاج إلى خلق التثبت من صحة الأخبار ، والحلم ، والتجرد ، واحترام الآخرين ، والعدل في الرضا والغضب ، وحسن فهم الطرف الآخر...الخ. ولكن للأسف نجد أن هذا الجانب غير متحقق في حياتنا وأن نتائجه تفتك بنا كثيراً ، وإننا نلمس آثاره في العلاقات وفي طرائق المعاملة بين الناس...

وفي هذا المؤتمر سنعالج إن شاء الله جوانب تتعلق بأزمتنا الفكرية ومشكلاتنا الأخلاقية ، وسيقوم بذلك أساتذة أفاضل.

ولا ننسى دورنا الكبير ، نحن معشر النساء ، في توفير شروط النهوض بواجب إعادة بناء الشخصية الإسلامية كما يريد الله تعالى. فدور المرأة المسلمة كبير في محاصرة السلبيات ، ودعم الواجبات ، والمساهمة الفعالة في إعادة البناء والتكوين. وأستعين بأبيات من الشعر في لفت الأنظار إلى بعض هذه الواجبات.

يقول حافظ إبراهيم:

من لي بتربيةِ النساء فإنها في الشرق علةُ ذلك الإخفاق
الأمُ مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيبَ الأعراق
الأمُ روضٌ إن تعهده الحيا بالرّيّ أورق أيما إيراق
الأمُ أستاذُ الأساتذة الألى شغلت مآثرهم مدى الآفاق

فتعليم المرأة وإعدادها لكي تقوم بدورها ، بكافة جوانبه ، من أهم الواجبات ، ولأن دورها رائد في صناعة الأجيال ، فيجب أن تكون قادرة على المساهمة بواجب إنهاض المسلمين وتقدمهم.

ويقول أمير الشعراء شوقي :

وإذا النساءُ نشأنَ في أميةٍ رضع الرجالُ جهالةً وخمولا
ليس اليتيمُ من انتهى أبواه من همِّ الحياة وخلفاهُ ذليلا
إنَّ اليتيمَ هو الذي تلقى له أمّاً تخلت أو أباً مشغولا

إن هذه الأبيات لتؤكد على أهمية دور المرأة المثقفة في المجتمع المسلم ، وإننا هنا بصدد الحديث عن الواجبات وليس الحقوق ، مع التأكيد على أن تمتع المرأة بحقوقها يهيئها للقيام بواجباتها. إن واجبات المرأة أساسية في إعادة بناء الشخصية الإسلامية وهذا يتطلب منها أن تتعرف إلى واجباتها وأن تنمي مواهبها وقدراتها باستمرار ، حتى تستطيع أن ترى الأمور بأحجامها الحقيقية ، وحتى تتمكن من وضع البرامج المناسبة لكل واجب من الواجبات.